

دلائل الإعجاز

بسم الله الرحمن الرحيم .

نماذج تحليلية لأهمية النظم .

أعلم° أنك لن ترى عجباً° أعجَبَ من الذي عليه الناسُ في أمرِ النظم وذلك أنه ما من أحدٍ له أدنى معرفة إلا° وهو يعلم أن هاهنا نظاماً أحسنَ من نظم . ثم تراهم إذا أنتَ أردتَ أن تُبصِّرهم ذلك تَسُدُّرُ أعينهم وتضلُّ عنهم أَفْهَامُهُم . وسبب ذلك أنهم أوَّسِلَ شَيْءَ عَدَمِ مَوَالِمِ الْعِلْمِ بِهِ نَفْسِهِ مِنْ حَيْثُ حَسَبِيهِ شَيْئاً غَيْرَ تَوْخِيٍّ مَعَانِي النَّحْوِ وَجَعَلُوهُ يَكُونُ فِي الْأَلْفَاظِ دُونَ الْمَعَانِي . فَأَنْتَ تَلْقَى الْجَهْدَ حَتَّى تُمِيلَهُمْ عَنْ رَأْيِهِمْ لِأَنَّكَ تَعَالِجُ مَرَضاً مَزْمِناً . وِدَاءً مَتَمَكِّناً . ثُمَّ إِذَا أَنْتَ قَدْتَهُمْ بِالْخَزَائِمِ إِلَى الْإِعْتِرَافِ بِأَنْ لَا مَعْنَى لَهُ غَيْرَ تَوْخِيٍّ مَعَانِي النَّحْوِ عَرْضَ لِهِمْ مِنْ بَعْدِ خَاطِرٍ يَدْهَشُهُمْ حَتَّى يَكَادُوا يَعُودُونَ إِلَى رَأْسِ أَمْرِهِمْ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَرُونَا نَدَّ عِي الْمَزِيَّةِ وَالْحَسَنَ لِنِظْمِ كَلَامٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مِنْ مَعَانِي النَّحْوِ شَيْءٌ يَتَّصِفُ بِرَأْيِ النَّاسِ فِي الْعِلْمِ بِهِ وَيَرُونَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَضَعَ الْيَدَ مِنْ مَعَانِي النَّحْوِ وَوَجْهِهِ عَلَى شَيْءٍ نَزْعِمُ أَنْ مِنْ شَأْنِ هَذَا أَنْ يَوْجِبَ الْمَزِيَّةَ لِكَلِّ كَلَامٍ يَكُونُ فِيهِ بَلْ يَرُونَا نَدَّ عِي الْمَزِيَّةَ لِكَلِّ مَا نَدَّ عِيهَا لَهُ مِنْ مَعَانِي النَّحْوِ وَوَجْهِهِ وَفُرُوقِهِ فِي مَوْضِعٍ دُونَ مَوْضِعٍ وَفِي كَلَامٍ دُونَ كَلَامٍ وَفِي الْأَقْلَسِ دُونَ الْأَكْثَرِ وَفِي الْوَاحِدِ مِنَ الْأَلْفِ . فَإِذَا رَأَوْا الْأَمْرَ كَذَلِكَ دَخَلْتَهُمُ الشُّبْهَةُ وَقَالُوا : كَيْفَ يَصِيرُ الْمَعْرُوفُ مَجْهُولاً وَمَنْ أَيْنَ يَتَّصِفُ بِرَأْيِ النَّاسِ فِي كَلَامٍ مَزِيَّةٌ عَلَيْهِ فِي كَلَامٍ آخَرَ بَعْدَ أَنْ تَكُونَ حَقِيقَتُهُ فِيهِمَا حَقِيقَةً وَاحِدَةً فَإِذَا رَأَوْا التَّنْكِيرَ يَكُونُ فِيهِمَا لَا يُحْصَى مِنَ الْمَوَاضِعِ ثُمَّ لَا يَقْتَضِي فَضْلاً وَلَا يَوْجِبُ مَزِيَّةً اتَّهَمُونَا فِي دَعْوَانَا مِنْ أَدْعِيَانِهِ لَتَّنْكِيرِ الْحَيَاةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ) مِنْ أَنْ لَهُ حُسْنٌ وَمَزِيَّةٌ وَأَنْ فِيهِ بِلَاغَةٌ عَجِيبَةٌ وَطَنْدُوهُ وَهَمَاءٌ مَنَا وَتَخِيُّلاً . وَلَسْنَا نَسْتَطِيعُ فِي كَشْفِ الشُّبْهَةِ فِي هَذَا عَنْهُمْ